فلسفة الكائنات

١

— أنا —

* * *

اعرف المعارف وانكر النكرات

من انا ؟ جواب — انا انا

لست جماداً ، لانني حي متحرك .

ولا نباتاً ، لانني منتقل بارادتي .

ولا حيواناً ، لانني ناطق منتصب .

فانا اذاً انسان . ولكن اي انسان انا ؟

لست زنجياً لانني ابيض .

ولا صينياً ، لان عيني مستويتان ولوني غير اصفر

ولا شرقياً ، بل اوروبي .

ولست سلافياً ، ولا لاتينياً ، ولا المانياً ، بل انكليزي ولدت في برستل .

فانا انكليزي من مدينة برستل ، ولكن اي انسان من برستل انا ؟

لست انثى ، لان لي شوارب ولحية وغير ذلك .

فانا ذكر

ولست من آل سمث ، ولا من آل مكنسيل ، ولا من آل واناميكر ، بل من آل بلير · واسمي توم ، أو طوم

فانا اذاً طوم بلير

رجل انكليزي من بريستل من آل بلير اسمي « طوم » ·

حين اسمع احداً يدعو طوم بلير ألتفت ، لانني انا طوم بلير

واذا اهان احداً طوم بلير اشكوه الى المحكمة ، لان طوم بلير انا ،

واذا وجدت في ادارة البريد رقيماً عنوانه طوم بلير اطلبه ، لانني انا صاحب ذلك الاسم ·

فانا اعرف ذاتي واميزها عن سائر الموجودات من جماد ونبات وحيوان وانسان ·

وحين اقول « انا » تذهب من مخيلتي السموات والارض ومن فيهما ولا يبقى الا طوم بلير ·

. . . . . .

ولكن ماذا انا ؟ · ومن اين اتيت ؟ وكيف · والى اين ؟ · أأدري ؟

لست الهاً ، لانني محدود وعاجز

ولا ملاكاً ، لانني هيولي ارضي لا اجرأ على ركوب المحلقات

لست ازلياً ، لان ابي وامي ولداني منذ ما لا يزيد عن خمسين سنة · وقبلها لم اكن شيئاً مذكوراً ·

اعلم انني موجود ، وانني انا طوم بلير الذي أتى الى الوجود منذ خمسين سنة ، فكان طفلاً ، ثم ولداً دخل المدارس وتعلم ثم شبّ وترعرع ، واحب فعشق فعلق فتزوج فولد فاكتهل فشاب . كل هذه الاطوار والتغييرات أتت عليّ . واكثرها ليس باختياري ، وكلها بغير قوتي . وقد كان شعري اسود فصار ابيض . ولا اعلم كيف تمّ ذلك .

واظن انني ساموت كما مات ابي وجدي وجد جدي من العصور الخالية الى اليوم . فطوم بلير سيموت وينسى كسائر الاحياء.

ولكن ما هو الموت ؟ اعلم انني اموت ، فينحل تركيب جسدي ، واصير ، أو يصير تراباً . فهل يظل طوم بلير تراباً او يبعث حياً ؟ أتتجمع تلك الدقائق الترابية ، وتتحد وتحيا وتصير انساناً هو طوم بلير ؟ وهل اكون يومئذٍ مذكراً او مؤنثاً او مخنثاً ؟

وهل اكون انكليزياً او لاتينياً او سلافياً او عَلَى الحياد ؟

وكيف ابعث ؟ ولماذا ؟ واين ، وكم اعيش بعد ذلك ؟

مسائل هي كلها غوامض عَلَى طوم بلير

مسألة البعث — مشكلة المشاكل

الايمان يؤكدها

والفلسفة تؤيدها

والاختبار ينفيها

والعلم عَلَى الحياد

وطوم بلير يحبها ؛ ولكنه لا يدري من امرها شيئاً

وحقاً لست اعلم كيف اموت . أأموت موت البهيم او موتاً آخر ؟

وهل اهجع هجعة كرقاد الصلحآء ، او انام ولا استيقظ حتى لا تبقى السنوات ؟

وهل انام كلي او ينام جزء مني ويظل جزء حياً كالنسناس

ينام باحدى مقلتيه ويتقي باخرى المنايا فهو يقظان نائمُ

او كما قال المعري

ضجعة الموت رقدة يستريح ال جسم فيها والعيش مثل السهادِ

طوم بلير ليس بشاعر

ولا احد من الاموات بشاعر

اذا قصصت شعري ، « فانا » باقية لم تقص . « فانا » هي غير الشعر

اذا قلمت اظفاري « فانا » لم تقلم

اذا سملت عينيّ « فانا » لم تسمل

واذا بترت يديّ او صلمت ذنيّ او جُدع انفي « فانا » لم تبتر ولم تصلم ولم تجدع . « فانا » غير كل هذه الاعضآء . فما هي اذاً

اذا نزعت ثيابي « فانا » لم تنزع . « فانا » غير ثيابي

وان سكتُ او سكتُ ، « فانا » باقية . « فانا » غير كلامي وحركاتي

واذا متُ فانحلّ جسدي ترباً ،

ثم زرع في ذلك التراب برسيم فنبت وتحوّل جسمي برسيماً

ثم اتى كديش واكل ذلك البرسيم فتحول فيه الى لحم ودم وعظم وجلد وشعر فصار بعض دقائق جسمي في رأس الكديش ، وبعضها في يديه وبعضها في ذنبه ، وكلي فيه ، أفيحق لذلك الكديش ان يدعي انه طوم بلير ، وهل تقبل دعواه شرعاً

فيذهب ذلك الكديش الى بيتي ويضع حافره على دنانوي وتصير ستيز بلير زوجة شرعية له ،

ويصبح اولادي خاضعون للكديش الذي هو ابوهم ،

ويكون الكديش اباهم وهو احدث منهم سناً ؟

ولماذا ؟ لان كل دقائق جسمي دخلت فيه

واذ ذاك أيكون ذنب الكديش لحية طوم بلير ؟ . واغيرتاه

لست اذهب هذا المذهب ولا ادين ذلك الدين

انا طوم بلير ، لم اقبل ان اكون صينياً ولا سلافياً ولا لاتينياً فكيف اصير ذلك الكديش !

فاذاً « انا » غير جسدي . فما انا ؟

اجيبوا ، يا علماء !!! . وانقذوني من « الكديش » .

قالوا — ان الوجدان قوة بها يميز الحي ذاته عما سواه من جماد ونبات وحيوان وانسان .

فما هو ذلك الوجدان ؟ أهو انا — وانا هو ؟

أقوة مستودعة في ، او هو ذات كياني ؟

لا ادري ، ولا اقدر ان ادري .

كيف ترى عيني وتسمع اذني ؟ لا ادري !

كيف تتحرك يدي ويفكر دماغي ! لا ادري !

كيف ازوج والد ؟ . لا ادري !

فانا لا ادري ولا ادري انني لا ادري

الاسكندرية «حنا خباز»

طرائف عربية

قيل لاعرابي — ألا تغزو العدو ؟ قال — وكيف يكونون لي عدواً ، وما اعرفهم وما يعرفونني ؟

قيل لملك زال عنه ملكه — ما الذي سلبك ملكك ؟ قال — تأخيري عمل اليوم لغد

دخل بعض الاعراب على معاوية وعليه عباءة فازدراه . فقال — يا امير المؤمنين ، ان العباءة لا تكلمك ، وانما يكلمك من فيها .

سوق عكاظ

★ ★ ★

نشر في هذا الباب منتخبات الشعر العصري التي نطالع عليها في الدواوين الجديدة والصحف